تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { فمكث } الهدهد { غير بعيد } أي غاب زمانا يسيرا ثم جاء فقال لسليمان : { أحطت بما لم تحط به } أي اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك { وجئتك من سبإ بنبإ يقين } أي بخبر صدق حق يقين وسبأ هم حمير وهم ملوك اليمن ثم قال : { إني وجدت امرأة تملكهم } قال الحسن البصري : وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقال قتادة : كانت أمها جنية وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة من بيت مملكة وقال زهير بن محمد : هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية وقال ابن جريج : بلقيس بنت ذي شرخ وأمها بلتعة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل وقال الأعمش : عن مجاهد كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة ألف مقاتل وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى : { إني وجدت امرأة تملكهم } كانت من بيت مملكة وكان أولو مشورتها ثلثمائة واثني عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بأرض يقال لها مأرب على ثلاثة أميال من صنعاء وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة اليمن وا أعلم .

وقوله : { وأوتيت من كل شيء } أي من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن { ولها عرش عظيم } يعني سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللالىء قال زهير بن محمد : كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والزبرجد طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وقال محمد بن إسحاق : كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكان إنما يخدمها النساء ولها ستمائة امرأة تلي الخدمة قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم وكان فيه ثلثمائة وستون طاقة من مشرقه ومثلها من مغربه قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحا ومساء ولهذا قال : { وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون ا وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل } أي عن طريق الحق { فهم لا يهتدون } .

وقوله : { أن لا يسجدوا } معناه { وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * أن لا يسجدوا } أي لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها كما قال تعالى : { ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون } وقرأ بعض القراء {

أن لا يسجدوا } جعلها ألا الإستفتاحية ويا للنداء وحذف المنادى تقديره عنده ألا يا قوم اسجدوا .

وقوله : { الذي يخرج الخبء في السموات والأرض } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعلم كل خبيئة في السماء والأرض وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد وقال سعيد بن المسيب : الخبء الماء وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : خبء السموات والأرض ما جعل فيهما من الأرزاق المطر من السماء والنبات من الأرض وهذا مناسب من كلام الهدهد الذي جعل ا فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض وداخلها .

وقوله : { ويعلم ما تخفون وما تعلنون } أي يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال وهذا كقوله تعالى : { سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار } وقوله : { ا لا إله إلا هو رب العرش العظيم } أي هو المدعو وهو ا الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم الذي ليس في المخلوقات أعظم منه ولما كان الهدهد داعيا إلى الخير وعبادة ا وحده والسجود له نهي عن قتله كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة Bه قال : [نهى النبي صلى ا عليه وسلّم عن قتل أربع من الدواب : النملة والنحلة والهدهد والصرد] وإسناده صحيح